موشي دايان : دراسة تقييمية

الدكتور طالب يونس

تقييم نفسي : عندما تبذل محاولة ما لاثبات ان احدى الشخصيات الرسمية هي غير متزنة عاطفيا او نفسيا ، تكون المهمة صعبة ، ان لم نقل شاقة . فالصعوبة الرئيسية تكمن بوضوح في امكانية ولوج الافكار والمثل الباطنية المتعلقة بهذه الشخصية . هذا بالاضافة الى صعوبة طريقة الفهم القابلة للنقاش والجدل التي تتضمنها محاولة اثبات الاتزان العاطفي او عدمه لدى هذه الشخصية الرسمية ، زد على ذلك الصعوبة المترتبة على كون محاولة التقييم قد جرت من بعد سطحي واسع ، وهو ما يدل بوضوح على ان معرفة المقومات الاساسية لهذه الشخصية تكاد تكون مستحيلة .

رغم جميع العقبات المذكورة هذه ، ورغم ضآلة المعلومات المتوفرة ، فان محاولة فهم جوهر شخصية موشي دايان تبدو غير بعيدة الاحتمال . وينبغي علينا من اجل الوصول الى هذه الغاية تفحص المراحل الاولى من حياة دايان ، على نحو يكون أقرب ما يمكن من الدقة . وان نتيجة مثل هذا التفحص سوف تحاول تقييم ما اذا كانت طفولة دايان ، والى حد اقل المرحلة المبكرة من مراهقته ، تطابق بلا جدال التصنيف غير المرض نوعا ، من أنه « طبيعي » ، أو أنها تجيز افضاء صفة « عدم الاتزان » عليه .

كان والد دايان ، المولود في بلدة صغيرة قرب كييف سنة ١٨٩١ ، عاملا مزارعا . وكان قد هاجر الى فلسطين وهو في السابعة عشرة من عمره . وهناك ، انشأ صموئيل دايان مستعمرة دجانيا ، قرب بحيرة طبريا . وكانت القاعدة المعتمدة داخل المستعمرة تقوم على اساس التنظيم الجماعي التام للملكية الخاصة فيها . وقد تضمن هذا بالدرجة الاولى ان النقد داخل الكيبوتز (المزرعة الجماعية اليهودية) لم يكن متداولا ، وان القرارات الاساسية كانت تتخذ بتصويت اغلبية الاعضاء . وكان سكان المستعمرة يتناولون وجبات الطعام جماعيا في قاعات الطعام الخاصة بالكيبوتز ، كما كان على الاطفال أن يناموا معا ، ولكن بعيدا عن ابويهم ، في منازل خاصة بهم(١) .

ان النوم بصورة متواصلة بعيدا عن الام يمكنه ان يؤدي الى عواقب وخيمة طويلة الامد . والضحية بكل وضوح هي الطفل ، الذي ، وقد حرم من ينبوع العطف الوحيد (صدر أمه او ما يحل محله) ، ينشأ وهو يعاني المشكلات العاطفية المتعلقة بطفولة مراحل النمو الاولى ، وبطفولة ما بعدها . وبرغم أن الدلائل المتوفرة عن دايان في هاتين المرحلتين هي ضئيلة جدا بحيث لا تكفي لتشكيل دعامة متينة لنشأته فيما بعد ، الا أنها تعطينا المفاتيح اللازمة للمساعدة في القاء بعض الضوء على العناصر المؤلفة لشخصيته وتكوينه العاطفي .

فعندما يكون هناك حرمان من التقرب من الامومة وعطفها ، وخاصة في فترة الطفولة ، فان الطفل يحرم نتيجة لذلك من فترة التأهيل الاجتماعي . والتأهيل الاجتماعي هو الوسيلة التي يتعلم بواسطتها الطفل التعرف على بيئته والى حد بعيد الاستجابة لها ،